تقريعًا لهم وهو ان يدعي لحكم علة مناسبة لكنها غير موافقة للواقع
كما في قوله وما نزل الغيث الا لكي يقبل بين يديك الثرى وقوله
والنهر ساهي العين قد عرفت اعرابه والمراد بالنهر نهر الفرات الذي كان به
قوامهم وكان قد ضل الطريق ووقع في سماوة وهي بادية بين دمشق
والعراق والمراد بكونه ساهي العين انه ساكن العين التي هي مادته عن الجري
على سبيل الاستعارة ويحتمل ان في الكلام استعارة بالكناية فيكون قد
شبه النهر بانسان ساهي العين تشبيها مضمرًا في النفس وطوى لفظ
المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو ساهي العين وقوله من سدم
اي من اجل سدم فمن للتعليل والسدم بفتح السين والدال الحزن
وهذا من حسن التعليل ايضا وبعضهم جعل الاسف للنار والسدم
للنهر مجازا عقليا لتنزيل كل منهما منزلة العاقل وقد عرفت انه من
حسن التعليل فلا حاجة لذلك وفي كلامه الحذف من الثاني لدلالة
الاول اي من سدم عليه كما تقدم نظائره   وساء ساوة اي وساء
اهل ساوة فهو على تقدير مضاف على حد قوله تعالى واسئل القرية
اي اهلها وساوة اسم لمدينة من مدن الفرس وقيل بين همدان والري
وقوله ان غاضت بحيرتها فاعل ساء ومعنى غاضت بضاد معجمة
وقيل وبصاد مهملة غار ماؤها وذهب بالمرة حتى ان لهب النار ينبع من
قعرها كانما طبخت ارضها وكانت هذه البحيرة بركة عظيمة تسير فيها
السفن للبلاد التي على ساحلها وكان طولها ستة اميال في مثلها عرضا
وقيل ستة فراسخ في مثلها عرضا وقال البكري كان طولها عشرة
اميال وعرضها ستة وكان حولها بيع وكنائس خربت ومن ذلك
تعلم ان التصغير فيها ليس للتحقير وقوله ورد واردها اي وارد
واردها الخ فهو معطوف على مدخول ان في قوله ان غاضت بحيرتها
والباء في قوله بالغيظ للملابسة او المصاحبة اي ملابسا للغيظ
او مصاحبا له والجار والمجرور متعلق برد وقوله حين ظمي ظرف
لواردها اي الذي يردها ويأتي اليها ليستقي من مائها حين عطش
وحاصل المعنى واحزن اهل المدينة المسماة بساوة امران احدهما

غيض

وساء ساوة ان غاضت بحيرتها ورد واردها بالغيظ حين ظمي

غيض مائها والثاني رد الذي يردها ليستقي منها بالغيظ حين عطش
كان بالنار الخ لا يخفى ان بالنار خبر كان مقدم وما بالماء اسمها
مؤخر والاصل كان ما بالماء بالنار وما اسم موصول بمعنى الذي
وقوله من بلل بيان لها وقوله حزنا اي للحزن فهو علة لقوله كان
بالنار ما بالماء من بلل وقوله وبالماء ما بالنار من ضرم نظير ما تقدم فيما
قبله اي وكان بالماء ما بالنار من ضرم والضرم الالتهاب وفيه الحذف
من الثاني لدلالة الاول اي حزنا وحاصل المعنى ان النار التي
خمدت تلك الليلة صارت كان بها ما بالماء من البلل فصارت مبتلة
لحزنها وان الماء الذي غاض تلك الليلة صار كان فيه ما بالنار من
الضرم فكان ما بكل من نار فارس وماء بحيرة ساوة انتقل للاخر من
الحزن وخص الناظم من اوصاف الماء البلل دون البرودة مثلا
ومن اوصاف النار الاضطرام دون الحرارة مثلا لان البلل هو الذي
يخرج النار عن حقيقتها قال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما
على ابراهيم والاضطرام هو الذي يخرج الماء عن حقيقته بخلاف
الحرارة فانها لا تخرجه عن حقيقته لانه يقال ماء حار ولا يقال ماء
مضطرم لان الاضطرام يستلزم غاية اليبس فان قيل
الجمادات كلها لا توصف بالكفر بل منقادة متخضعة لله قال تعالى
وان من شيء الا يسبح بحمده فكيف يقول الناظم حزنا واللائق ان
يكون ذلك فرحا اجيب بان النار تحزن على نفسها
من اجل انها لا تتوقد والماء يحزن على نفسه من حيث انه لا يجري فكل
منهما مستبد بالحزن لاجل ذلك هذا ان كان المراد حسن ذاتهما كما هو
المتبادر وان كان المراد حسن اهلهما فلا اشكال لان اهلها يحزنون
على تغيير ملكهم وتشتيت امرهم   والجن تهتف اي وصارت
الجن تهتف في الجبال والاودية فمن ذلك ما جاء انه حين ولد صلى
الله عليه وسلم هتف هاتف على الحجون وهو ينشد ويقول

فاقسم ما انثى من الناس انجبت   ولا ولدت انثى من الناس واحده
كما ولدت زهرية ذات مفخر   مجنبة لؤم القبايل ماجده

كان بالنار ما بالماء من بلل حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم

والجن تهتف والانوار ساطعة والحق يظهر من معنى ومن كلم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)